

النعمة الإلهية والإنعزال

نيقولوس مانيس¹

كلما ظهرت بدعة في الكنيسة ووفقاً لكل ما قرأنا في التاريخ الكنسي، كان الأرثوذكسيون يقطعون الشركة مع أسلاف البدعة بسرعة (أو تدريجياً، في غضون فترة معقولة من الزمن)؛ بمعنى آخر هم توجهوا إلى الإنعزال عنهم.

لم يكن الأرثوذكسيون الذين عزلوا أنفسهم مسرورين بقطع الشركة، ولكن هم أخذوا على عاتقهم نضال كبير ومقدس غايته إخماد البدعة من خلال إدانتها وطردها الهراطقة الغير-تائبين من الكنيسة عن طريق إنعقاد مجمع كبير. وهذا المجمع الكبير كان يشكل ذروة النضال المقدس.²

ولكن، لا نقرأ أبداً في أي مكان في تاريخ الكنيسة عن صلة وُجدت بين النعمة الإلهية والإنعزال. فالإنعزال كان يحصل لكي لا يصبح الأرثوذكسيون شركاء مع البدعة! أما عن كيفية استقبال الكنيسة في كنفها لأولئك الهراطقة الذين أدينوا في المجمع الكبير، فهذا كان أمر تقررته الكنيسة أثناء المجمع الكبير نفسه. (في ما يختص بقبول الهراطقة بشكل عام، أنظر المجمعين المسكونيين الثاني والسابع).

إن هذه الصلة بين وجود أو عدم وجود نعمة إلهية (وبالتالي، بين أسرار سارية المفعول أو باطلة) والإنعزال هي صُنعت فقط في الماضي القريب وللمرة الأولى مع ظهور آخر بدعة كبرى تهاجم الكنيسة ألا وهي المسكونية، وهي بدعة شاملة لا زالت تهاجمها.

¹ نيقولوس مانيس، كاتب هذا المقال البالغ الأهمية والذي ظهر باليونانية على موقعه الإلكتروني الشهير <http://krufu-sxoleio.blogspot.com> **Κρυφό Σχολείο** هو كاتب وأستاذ ديني شاب من اليونان. مقالته البصيرة والواسعة المعرفة التي، وبالرغم من رذات فعل شرسة من عدة نقاد، يفسر فيها بشجاعة أمور معقدة للغاية تختص بتاريخ والأهمية الكنسية لحركة التقويم القديم، قد ظهرت في عدة طبعات من مجلة "أرثوذكس تراديشن" باللغتين الإنكليزية واليونانية (و بعضها نُقل إلى العربية من قبل هذا المعزب). لقد أضفنا إلى ترجمتنا لمقاله الحاضر هنا عدة ملاحظات أو توضيحات تفسيرية لقرائنا الذين قد يكونوا غير مطلعين على بعض الأمور والأحداث والأشخاص الذين يذكروهم. هذه تظهر بين أقواس.

² من هنا مصدر المجمع المسكونية التي انعقدت ليس كما يخطئ البعض لتحديد الإيمان بل لمحاربة البدع. هم دافعوا عن الإيمان الحاضر الذي أعطاه المسيح وبشّر به الرسل وحافظ عليه عليه آباء الكنيسة والقديسون (أنظر القديس أثناسيوس الكبير) — المترجم الأول.

وبالتالي، بعد ابتكار التقويم عام ١٩٢٤ والذي شكّل الخطوة المهمة الأولى للسير عملياً بالمسكونية، عمد جزء من الأرثوذكسيين الذين عزلوا أنفسهم ورفضوا التقويم الجديد إلى الإصرار أن كنيسة التقويم الجديد لم تعد بحوزتها النعمة الإلهية وأن أسرارها أصبحت باطلة. واعتُبر هذا الموقف من عقائد الإيمان واعتُبر كل من لم يقبل به تحت الحُرْم الكنسي. هكذا وللأسف نشأ إنشقاق الماثيويين الشهير والذي تقع ذكراه الثمانية هذه السنة (حدث إنشقاق ماثيو في حركة التقويم القديم في شهر أيلول من عام ١٩٣٧ - المعرّب).³

باختراعهم وللمرة الأولى صلة بين أمرين لا علاقة بينهما (أي النعمة الإلهية والإنعزال)، تمسك الماثيويون باعتقادهم أنه إذا كانت أسرار المبتكرين سارية المفعول، فهذا يعني أنه من الخطأ الإنعزال عنهم. بخصوص هذا الأمر، كتب الأب إغينيوس تومبروس⁴ ما يلي: "إذا كان ذوي التقويم الجديد لديهم النعمة، على أي قانون عندها سنعتمد لكي نتصل من تلك الكنيسة؟ ولماذا علينا أن نتصل منها لأنها لديها النعمة وبالتالي يمكننا أن نخلص هناك أيضاً؟ في تلك الحالة، لماذا علينا أن نتعرض للإضهاد والمضايقة والمعاناة والسجن والنفي والصعوبات، وكل هذه لا غاية لها؟"

تسرّب هذه الرأي إلى عناصر وافرة في مجمع أولئك الذين خلفوا القديس خريسوستوموس فلورينا الجديد. وعلى هذا المنوال، أكد أحد أولئك الذين تحت هيمنة الماثيوية، الأب مرقص خانيوتيس، بكلام مشابه: "لماذا علينا مغادرة كنيسة التقويم الجديد إذا لديها النعمة؟"

لقد كان لهذه الفكرة أيضاً تأثيراً في أيامنا هذه على أولئك الذين عزلوا أنفسهم مؤخراً عن كنيسة التقويم الجديد. على سبيل المثال، الأب إفثيميوس تريكاميناس⁵ يسيء استعمال كلمات القديس ثيودوروس الستوديطي [أنظر أسفله] ويكتب:

³ إن الأساقفة الثلاثة من كنيسة اليونان الرسمية، بمن فيهم القديس خريسوستوموس فلورينا "أب" الحركة، والذين رفضوا اعتماد التقويم البابوي من قبل المجمع المقدس في العقد الثاني من القرن الماضي، هم عزلوا أنفسهم وعادوا والتزموا بالتقويم الكنسي التقليدي. و لكي يقوموا بإدارة هذه الكنيسة المقاومة، قاموا بشرطنة راهب آثوسي يدعى ماثيو أسقفياً على فريستينا، الذي بدوره أعلن أن كنيسة اليونان الرسمية هي خالية من النعمة وهكذا تسبب بإنشقاق لا يزال ليومنا هذا و هو يمثل أقلية صغيرة من ذوي التقويم القديم اليونان - المترجم الأول.

⁴ أحد الأكثر صحابة من المدافعين عن قضية الماثيويين

⁵ الأب إفثيميوس، و هو كاهن-راهب من كنيسة اليونان الرسمية، عزل نفسه عن أساقفتها المبتكرة و بسبب فعله الضميري هذا تم خلعته عام ٢٠٠٧.

"...لقد كان القديس ثيودوروس الستوديبي واضحاً جداً لمعارضته لأسرار هراطقة عصره؛ فبعد أن عزل معترفو الأرثوذكسية أنفسهم، هو علّم أن تلك الأسرار هي باطلة. وهو تمسك بالموقف الواضح ذاته بخصوص كنائس الهراطقة أيضاً، معلّماً أن بعد القبول الرسمي للهراطقة يغادر الملاك الحارس للكنيسة وتصبح منزلاً عادياً خال من أثر للقداسة. من الواضح إذاً أنه بالنسبة للقديس الإنعزال يعني أنك تبعد نفسك عن شيء قد سقط وتحول، وليس أنك تترك شيئاً هو، بما أنه ساقط في الإيمان، لكن رغماً عن ذلك هو لا يزال يحتفظ في أسراره على قوة نعمة الروح القدس الخلاصية والمقدّسة. لأنه إذا كانت القوة الخلاصية للنعمة ما زالت في الأسرار، كيف من الممكن لنا أن نتعد بواسطة الإنعزال حين لم يغادر الروح القدس عن الأسرار أو عن هكذا كنائس، وهكذا نكون قد جعلنا أنفسنا أكثر فخامة من الملك. ولما يجب على الروح القدس أن ينتظر ولا يغادر حتى صدور قرارنا الجمعي، الذي حسب هذا التفكير هو سيفوّض طريقة مغادرته؟"

لقد كان للأب إيفانيوس ثيودوروبولوس⁶ ذات طريقة التفكير عن الصلة بين النعمة الإلهية والإنعزال، مع الفرق أنه هو استخدم هذه الصلة للتأثير المعاكس والذي غايته مهاجمة ذوي التقويم القديم الأرثوذكسيين المنعزلين. فهو يشير في كتابه الشهير "النقيضين" أنه "إذا كان لذوي التقويم الجديد أسرار سارية المفعول وإذا لكنيسة اليونان نعمة، عندها هم بالفعل كنيسة أرثوذكسية وكنيسة للمسيح، و كل من يغادرها هو شقاقي."

للأسف إن الصلة بين النعمة الإلهية والإنعزال نتيجة كل هذه التفاسير المختلفة تركت أثراً على العديد من الأشخاص، ومنهم الأب المرموق جورج ميتالينوس.⁷ في رسالة له إلى الأب ثيودوريتوس حين كان الأخير يحثه على الإنعزال، يقول: "بما أن القداسة هي موجودة أيضاً في كنيسة التقويم الجديد، فإنني مقتنع أن النعمة هي موجودة هناك أيضاً، وبالتالي أيضاً إمكانية الإعتراف والخلاص. في مكان آخر يشير: "بما أنني أرى أن قداسة كنيسة تبقى مجردة من الفساد، لدي الضمانة أنه لم يتم فصلي عن قديسينا وأن نعمتهم الثالوثية تعمل فينا أيضاً، ليس من عدم إستحقاقنا بل لأجل خلاص شعبنا (الله لا يرتب كل

⁶ كاهن متبيل († ١٩٨٩) بُجّل كثيراً لإنجازاته الروحية و لكن أيضاً، نقيض ذلك، كان الأب إيفانيوس في الكثير من الأحيان مجادلاً عدائياً و قبيحاً جداً بوجه ذوي التقويم

القديم في اليونان - المترجم.

⁷ الأب جورج، و هو كاهن متزوج تقي و واسع المعرفة و عميد متقاعد لكلية اللاهوت في جامعة أثينا، دائماً ما التزم برؤية معتدلة تجاه ذوي التقويم القديم و متعاطفة معهم.

ظهرت العديد من دراساته العلمية في مجلة Orthodox Tradition.

شيء ولكن يعمل من خلال الجميع، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم). لست أكتب هذه الأمور لأستفزك – فأنا أحترم قرارك بأن تكون منعزلاً – بل لأبرر ترددي.⁸

إن هذه الصلة الطائشة المذكورة آنفاً قد تسببت في خسائر فادحة في النضال المقدس بوجه بدعة المسكونية الشاملة. فهناك فئة من الأرثوذكسيين (أي الماثيويين) قد تم فصلهم عن زملائهم في النضال لمدة ثمانين عاماً اليوم؛ فئة أخرى (أولئك الذين يزعمون المقاومة من الداخل) تكافح ضد أولئك المناضلين الأرثوذكسيين أنفسهم الذين يرونهم فرضياً في الطرف المعاكس من المسكونية (وهي هرطقة شاملة هم بشركة معها!)؛ وفئة ثالثة لا ترغب بالإخراط في النضال المقدس، وبالها مرتاحاً بوجود النعمة الإلهية في كنيسة التقويم الجديد. رداً على هذه الفئات، يضع الأبوان القديسان المعاصران القديس خريسوستوموس فلورينا الجديد والأب المتوحد ثيودوريتوس (مافروس)⁹ التعليم الأرثوذكسي المختص بهذه المسألة أمامهم، مبرهنين لهم أن هذه الفكرة هي مضللة ومؤذية لكفاح التقويم القديم.

لقد شدد القديس خرسوستوموس الجديد على أن الأرثوذكسيين عليهم "قطع الشركة الكنسية مع المبتكرين، حتى قبل إدانة من مجمع، لكي هم أيضاً لا يكونون مسؤولون أمام الكنيسة بأكملها،"¹⁰ مشيراً أن عقلية الماثيويين المختصة بفقدان النعمة الإلهية والأسرار الباطلة تهدف "من جهة إلى جذب مهتدين آخرين إلى التقويم القديم، مستخدمين بظُلان أسرار ذوي التقويم الجديد كمصدر قلق وكتلويح بالتهديد؛ ومن جهة أخرى دافعين أولئك الأتباع، وخاصة البسطاء والفتاتون منهم، على البقاء في نضالنا المقدس."¹¹

ألف الأب الراحل ثيودوريتوس عدة كتابات منيرة قام فيها بتفنيد كلا موقفي الماثيويين وأولئك الذين تحت تأثير الماثيوية، بالإضافة إلى المواقف المتمسك بها أتباع الأب إبيفانيوس وذوي التقويم الجديد

⁸ أنظر: <http://vasilevousa1453.blogspot.gr/2017/02/blog-post.html>

⁹ و هو غيور أنوسي شهير ولاهوتي لامع († ٢٠٠٧)، نُجِّل كثيراً من قبل الأب سيرافيم (روز) بلاتينا ذات صلة قريبة مع الكنيسة الروسية في المهجر. رقد قبل إنحاده مع بطريركية موسكو، و هو لم يكن داعماً لهذا الإتحاد.

¹⁰ "رسالة رعائية"، أثينا، ١ حزيران، ١٩٤٤

¹¹ "توضيح للميثروبوليت خريسوستوموس بخصوص رسالته الرعائية"، ١٨ كانون الثاني ١٩٤٥. باختصار، رأى القديس خريسوستوموس أن هذه العقلية هي بأحسن حالاتها تكتيكياً وبالتالي بأسوأ حالاتها هي خداعة ضمناً ومثيرة للإنقسام.

المتحفظين:

"إن وجود النعمة لا يضمن الخلاص. يمكن بكل سهولة لأحدهم أن يتناول جسد ودم المسيح ومع ذلك يتكبد عذابات الجحيم! وبرهان على ذلك كلام الرب في الإنجيل عن أولئك الذين يصنعون العجائب والعلامات والنبؤات وكيف سيتكبدون عذابات الجحيم إذا افتقروا للفضائل الشخصية (القديس متى ٢٣-٢١:٧)."

وبالتالي، كما أن صنع العجائب لا يعني ضمانه الخلاص، كذلك أيضاً وجود النعمة في أسرار كنيسة التقويم الجديد لا بأي طريقة يفرض أو بالأحرى يسمح بالشركة معها، طالما هي تتبنى المعتقد الخاطيء والإبتكار.¹²

"يرد الأب إفيغينيوس [أنظر الملاحظة ٤ أعلاه] بحزم: 'على أي قانون إذاً سنعتمد لكي نتنصّل من هذه الكنيسة،' إذا كان لدى ذوي التقويم الجديد نعمة؟ ماذا يمكن أن يكون أكثر سذاجةً ومعادٍ للتقليد من ذلك؟ من المؤكد هنا أنه لم يقرأ أبداً الكلمات الجميلة للقديس نيقوديموس التي نجدها في عمله الرائع "في المناولة المتكررة" وهي تليق جداً بموضوعنا: 'الوقت لا يسمح لي بأن أذكر الأمثال التي لا عدّ لها للقديسين الكُثر الذين تكبدوا الصعوبات والموت لأجل تعاليم الكنيسة.¹³ بمعنى آخر، لكل قانون تم الدعس عليه ولكل تعليم كنسي يشكل تقليداً للأرثوذكسية المقدسة تمت مخالفته، على المؤمن الملتزم أن تكون له ردة فعل وحتى عليه أن يسفك دماءه لكي يعيق عمل المبتكرين. ولكنها من قمة حماقة بأن ينتظر المؤمنون أولاً أسرار الكنيسة المبتكرة لتصبح باطلة (ومن سيخبرهم بذلك؟) ومن ثم تكون لهم ردة فعل، مهملون بذلك مسؤولياتهم."¹⁴

[في رسالة لأحد الإكليريكين، ينص الأب ثيودوريتس:]

¹² "رسالة مفتوحة ثانية للمتقدم في الكهنة إفيغينيوس تومبروس"، الجبل المقدس و أثينا، ١٩٧٢.

¹³ أنظر الكاهن-الراهب بتايوس و رئيس الأساقفة خريسوستوموس، 'من من آئوس: مسألة المناولة المتكررة في الجبل المقدس في أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر'، [بالإنكليزية] (أوكسفورد: بيتر لانغ، ٢٠٠٦)، ص. ١٦٤.

¹⁴ "شفاق التقويم" [باليونانية] (الجبل المقدس و أثينا: ١٩٧٣)، ص. ٩.

"أيها الأب مرقس،¹⁵ أي من الآباء القديسين نطق بمكثدا كلام يقول أنه إذا كانت هناك نعمة، فلا يجب علينا مغادرة تلك الكنيسة حتى ولو كان رعاثا يتكرون بدعسهم على القوانين المقدسة وتقاليد الأرثوذكسية الشريفة؟ ألا يقول القديس نيقوديموس في كتابه "في المناولة المتكررة" أن 'الوقت لا يسمح لي بأن أذكر الأمثال التي لا عدّها للقدسين الكثر الذين تكبدوا الصعوبات والموت لأجل تعاليم الكنيسة.¹⁶ ولكن حتى قبل القديس نيقوديموس، ألا يمدح أثناسيوس باريوس الكبير سوياً مع خريسوستوموس الإلهي شعوب القسطنطينية المؤمنين الذين تحملوا الجحيم على الأرض لأنهم لم يرغبوا القبول بأي أحد آخر على عرش راعيهم الكبير الذهبي الفم المنفي قصراً؟' البعض خضع للتعذيب، وآخرون زُموا في السجن؛ وآخرون قُتلوا، إمّا فعلياً كما كانت الحال عند البعض، أو فقط عن طريق الإرادة عند البعض الآخر الذين فضّلوا بأن يفعلوا أو يعانون كل شيء لكي لا يدخلوا في الشركة مع ظلم أولئك الذين تجرأوا على القيام بمكثدا أمور.¹⁷ هل تسمع أيها الأب مرقس؟ هم تحملوا كل شيء 'لكي لا يدخلوا في شركة'، ولكن لم يكن هناك أي كلام عن فقدان النعمة عند ذلك الطرف الذي عارض الأب القديس. ويستمر خريسوستوموس بقوله: 'إذا قل لي، هل هذه أمور صغيرة عندما تريح الكنيسة عدداً هكذا كبيراً من الشهداء؟ لأن كل هؤلاء هم شهداء.' هل تسمع أيها الأب الجزيل الإحترام؟ القديس يوحنا الذهبي الفم يعتبرهم شهداء كل من لم يدخل في الشركة مع مخالفتي فقط قانون كنسي واحد. هم أبداً لم يفكروا بإعلان ما تقوله أنت وأتباعك: 'بما أن هناك نعمة، إذاً لماذا لا ندخل في الشركة مع الأئمة الذين روجوا لإبتكار التقويم؟' أو هل فعلاً تشك أنه كان هناك نعمة عند أولئك الذين اضطهدوا الأب القديس، بما أن قائدهم و خلفه (أي خلف القديس يوحنا الذهبي الفم)، أرساكيوس، أصبح قديساً؟"¹⁸

في مكان آخر يشير الأب ثيودوريتوس: إن موقف الأب إيفانيوس ثيودوروبولوس هو محادع ومنحرف. وذلك لأنه يمكن لأسقف منفرد أو كنيسة منفردة بأن تكون بحوزتها النعمة ولكن هي فرضياً شقاقية أو هرطوقية، وهذا تعليم يقبل به الأب إيفانيوس. والمؤمن الذي يتناول من كأس هكذا كنيسة يتناول المسيح، ولكن لدينونة وليس للإستنارة والتأله، كما يحصل دائماً مع أولئك الذين يتناولون بغير

¹⁵ الأب مرقس (خانيوتيس). و هو راهب موقر من ذوي التقويم القديم رقد عام ١٩٧٧.

¹⁶ أنظر بتاييوس و خريسوستوموس، 'ممن من آتوس'، ص. ١٦٤.

¹⁷ القديس يوحنا الذهبي الفم، "عظة لأولئك الذين شُهِروا بالحن" § ١٩، موسوعة الآباء اليونانيين ٥١٩-٥١٨: ٥٢، نوه بما القديس أثناسيوس باريوس في إعلان الحقيقة بخصوص الإضطرابات في الجبل المقدس، الإصحاح ١٤.

¹⁸ "رد ثاني إلى الراهب الجزيل الإحترام، الأب مرقس خانيوتيس،" الجبل المقدس، ١٩ كانون الأول، ١٩٧٥.

استحقاق. والإدانة المذكورة سابقاً ستكون مختلفة بطبيعتها، ويعتمد ذلك على مدى يقين الشخص بالمعتقد الخاطئ. وبالتالي، حين يقوم المؤمن المستقيم الرأي، إن كان علمانياً أو إكليريكياً، ويتعد عن هكذا كنيسة هي فرضياً شقاقية أو هرطوقية ويقطع كل شركة معها، هو لا يصبح شقاقياً بل مستحقاً للمديح، كما تنص القوانين المقدسة.

وآخرون أيضاً، مثل اللاهوتي الراحل أريستوتل ديليمباسيس، أثبتوا من الأباء عدم وجود اي صلة بين النعمة الإلهية والإنعزال. نقدم هنا مقطعين من كتاباته بالغين الأهمية في هذا الإطار:

"إذا كنا منعزلين (أي منفصلين) ولا نشترك في أسرار الهرطقة الذين ارتدوا عن الأرثوذكسية قبل صدور حكم مجمعي (دينونة و إدانة)، نحن نفعل ذلك بطريقة مرضية لله. وهذا ليس لأن الأسرار التي يحتفلون بها هي غير فعالة، ولكن لكي لا نخطيء إذا اشتركنا معهم ونكون بهذه الحالة قد قبلنا الهرطقة وفشلنا أن نتميز رجل البدعة من صفوف المستقيمي الرأي كهروطوي، وهكذا نسبب الفضيحة أيضاً كما فعل هو" [الإعتراف الصالح].

"إن الإنعزال عن أسقف مصاب بالهرطقة يحصل ليس لأنه فقد النعمة بل لأنه مرتد (ساقط) وسبق وبشّر بالهرطقة، وتبعاً لهذا الوصية: 'فإذا كان الأسقف خبيثاً' في الإيمان، إجتنبه وانصرف عنه،' كما يأمر الله من خلال قديسيه."¹⁹

أما بالنسبة للموقف الذي أخذه الأب إفنيميوس تريكاميناس والذين معه، النقطة الوحيدة التي يجب التوقف عنها هي أن معتقدتهم الإكليريولوجي بأكمله المختص بفقدان النعمة الإلهية والأسرار الباطلة يرتكز على سوء استعمال كتابات القديس ثيودوروس الستوديطي الذي عبّر عن آرائه هذه بعد إدانة جمعية ورسمية لمحاربي الأيقونات في المجمع المسكوني السابع؛ فهذا الأب القديس والمعترف في الكنيسة مع اسمه أثناء تلك الحقبة بالذات (في المرحلة الثانية من حرب الأيقونات).

لدي رغبة صادقة أن كل ما كتبه هنا سيساهم بالفصل بين الأمرين، أي النعمة الإلهية والإنعزال، الذين ليس لهم علاقة ببعضها البعض، وذلك لكي ينقذ هذا الفصل إخوتنا السابقين من انقسام محزن دام

¹⁹ القديس يوحنا الذهبي الفم (موسوعة الأباء اليونانيين 63:231)، في ديليمباسيس 'فصح الرب' Πάσχα Κυρίου.

ثمانون عاماً وإخوتنا المحتملين من شركة مميتة مع هرطقة المسكونية الشاملة، لينتهي بنا الأمر مرتقبين ذلك اليوم الذي ستشرق فيه الأرثوذكسية إلى أفاصي الأرض من خلال مجمع كبير للأرثوذكسيين الأصليين.

أحد الأرثوذكسية ٢٠١٧